ظاهرة التسمية في محافظة ذي قار
دراسة لسانيَّة اجتماعيَّة

Nominalization phenomenon in Thi-Qar provence: A sociolinguistic study

أ. د. هادي شندوخ حميد

جامعة كربلاء / كلّيَّة التربية للعلوم الإنسانيّة

Prof. Dr. Hadi Shandookh Hameed

Unversity of Karbala, College of Education for Human Sciences

الملخّص

تكمن وراء تسمية الأشخاص والأشياء في أيّ مجتمع وبيئة ما ثقافات متباينة ومعايير مختلفة، وتتطوّر على وفق أطوار الزمان المتصل بالبعد المكاني. والتَّسمية لحظة مرهونة بالتأسيس، يروم المنشئ لها بقصد ما إخراج تلك المُسمَّيات إلى عالم التداول بهذا الرمز اللغوي المُعبِّر عن حقيقته مهما كان الاسم المطلق عليه، وهو حديث ذو أولويّة؛ لأنّه يبعث على تفكيك الذهنيّة المنتجة لهذه الأسماء، فهي المؤشّر على تحديد فاعليَّة اللغة في مخيالهم الاجتماعيّ، وما تلاها من أنساق تتعلّق بالواقع: كالزراعة، والتجارة، والعُمران، والطقوس، والصناعة، والاعتقادات.

يتناول بحثنا هذا طبيعة ولادة تلك الأسماء ـ غرابة ودلالة، وكان الحفر المعرفيّ في أنظمة التشكيل والتجلّي بمنظار مفتوح، وهو النافذة لبيان خصائص المجتمع في محافظة ذي قار عن طريق الاعتماد على منهج كاشف لتلك الأسماء، يقوم على بعض الإجراءات منها: اللقاءات المباشرة ببعض الشخصيّات الكبيرة في السِّنِّ والتَّحاور معها في معرفة الأسماء وبواعثها، وتارة بالاعتماد على سجلّات بيانات أهالي المحافظة واختيار المناسب منها؛ ليكون الاختيار علميًّا مبنيًّا على وسيلتي: اللقاء، والتدوين، في منحى توجيهيّ يتكوّن من ثلاثة مباحث ومقدّمة، الأوّل معنيٌّ بالحديث عن النسق الثقافيّ في الأسماء «الانفتاح والدلالة»، والثاني عن تنوّع البواعث في التَّسميات ودلالاتها، والثالث مختصّ بالتحرّي عن التمثّلات اللغويَّة في الأسماء ودلالاتها، وصولًا إلى الخاتمة، ومصادر البحث ومراجعه.

كلمات مفتاحيَّة: التَّسمية، تراث، جنوب العراق، اللسانيَّات، الدلالة

Abstract

The naming of objects and persons is affected by various traditions and values in different cultures, which all evelop in accordance with time and place. Nominalization is subjected to creation when the creator constructs the name to be used as a linguistic sign explaining social reality of whatever object in the real world. This sign is new and has a priority, due to the intuitive construct it requires to formulate names that determine the impact of language in social vision, and what follows of synonyms related to the reality of agriculture, trade, architecture, worship, industry and beliefs.

This research is concerned with the creation of names – semantics and eccentricity – the investigation of the syntactic structures is the way to determine the characteristics of societies in Thi Qar province, The research employs interviews and conversation with old people to investigate the names and their references. The research, also, used old records and documents of the city, so as the research would finally resort to conversation (spoken) and document (written) language. There are three procedures followed in this research. First is concerned with cultural

system or structure of names (semantics and openness). Second is the variation of motivation behind nominalizations and their meanings. Third is the investigation of linguistic examples of names and their meanings. The conclusion and bibliography are the final parts of the research.

Keywords: Nominalization, Heritage, North of Iraq, linguistics, Semantics.

المقدّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وبه نستعين، وصلَّى الله على أبي القاسم محمَّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

ينطلق أُفق المعرفة البشريَّة في مختلف ثقافاته من خلال انطباع دأبت عليه المجتمعات في عمليَّة التواصل والتثاقف، يستبطن في مضمونه أبعادًا اجتماعيَّة وثقافيَّة ودينيَّة وسياسيَّة، تكشف عن خصائص البيئات والمجتمعات فيما بينها، هذا الانطباع هو «ظاهرة التسمية» التي تؤسّس لمبدأ هويّة الإنسان والإفصاح عن ذاته في حركة التاريخ وجغرافيّة العالم.

مبدأ لم يغب عن أذهان الأوائل في رصد محدّداته ورمزيّاته وتحوّلاته وعلاقاته، لا لكونه فضاءً يتمّ فيه النسق التواصليّ فحسب، بل لأنَّه شاهد تاريخ على طبيعة الوعي الثقافيّ المرتهن إلى هذه الأسماء أو تلك في حقب الحياة المتحرّكة، ولأنَّه مظهر رابط للعلاقة بين اللغة والمجتمع، يتضمّن رهانات سلطة المجتمع في الهيمنة على اللغة، فتغدو الأسماء علامة كبرى لظرف سياسيّ أو اجتماعيّ أو فكريّ مليء بالأحداث المختفية في ظلال تلك الأسماء.

من القدماء من تنبَّه إلى ذلك كابن جنّي في كتابه «المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة» برؤية لغويّة رامَ فيها البحث عن خصائص الأسماء، وفي اتّجاه آخر وقف عند ذلك العرب الاقدمون في النحو في موضوع العَلَم واللغة في موضوع الاشتقاق، وكذلك أصحاب الطبقات والانساب والتراجم في مسرد معرفّي، لا يكشف عن سمات الأسماء ودلالاتها، بل الاشتغال على حقائق خارجيّة تتعلّق

بالردّ على مزاعم تنتقص من قدر العربيّة، أو إزالة مبهم عن اسم ما أو التحقيق في نسب أو سند مطعون فيه.

فالتسمية إذن لحظة مرهونة بالتأسيس، المنشئ لها بقصد يروم إخراج تلك الذات إلى عالم التداول بهذا الرمز المعبِّر عن حقيقته مهما كان الاسم المطلق عليه، وهو حديث ذو أولويَّة؛ لأنَّه يبعث على تفكيك الذهنيَّة المنتجة لهذه الأسماء، فهي المشير إلى تحديد فاعليَّة اللغة في مخيالهم الاجتماعيّ، وما تلاها من أنساق تتعلَّق بالواقع كـ «الزراعة والتجارة والعمران، والطقوس، والصناعة، والاعتقادات» هي صورة أخرى لبنيتهم الذهنيَّة، يكون الحكم عليها عن طريق تساؤل فلسفيّ اجتماعيّ، يكمن بمعرفة سرّ التفاوت في تلك البنى الذهنيَّة في إنتاج تلك المنظومة من الأسماء، وما مقدار التباين الجغرافيّ بين مكان وآخر في نوع التسميات، وما فاعليَّة المجتمع «بداوة وتحضّرًا» في ولادة هذا المنحى من معاني الأسماء وخصائصها؟

ولأنَّ البحث معنيّ بالوقوف على فضاءات تلك المعرفة، فإنَّه سيعمد إلى إثارة الأسئلة في بواعث تكوين تلك الذهنيَّة الاجتماعيَّة وسماتها القيميَّة الدافعة في إنتاج ذلك الكمّ من الأسماء، استشعارًا بأنَّ القيم من «مروءة، وشجاعة، ورفض، وقبول، وهيمنة ذكورية، وحرمة جار، ونبذ المهنة، والنهب، وتحقير المرأة، والثأر» لها تأثير فاعل في ولادة الأسماء.

وكذلك مساءلة البيئة الاجتماعيَّة «العادات والتقاليد والأعراف والتصورات والزراعة والصيد والتجارة والفوضى» بوصفها نظامًا يفرض هيمنته على التفكير عن دورها في صناعة المخيال المسؤول عن التسميات ومقبوليَّتها.

تلك الأسئلة لا تعني الارتهان إلى تلك الآفاق في تحليل البنى والقيم من «الأنساق والتنوّعات والتمثّلات» بالاعتماد على الصور النمطيَّة في المعالجات والإجابات عن

الأسئلة القارَّة عن ولادة تلك الأسماء «غرابة ودلالة»، بل سيكون الحفر في أنظمة التشكيل والتجلّي بمنظار مفتوح هو النافذة لبيان خصائص المجتمع في محافظة ذي قار في صورة من هويّته، ألا وهي «الأسماء» من خلال الاعتماد على منهج كاشف لتلك الأسماء، يقوم على بعض الإجراءات، منها: اللقاء المباشر ببعض الشخصيَّات الكبيرة في السنّ، والتحاور معها في معرفة الأسماء وبواعثها، وتارة بالاعتماد على سجلّات بيانات أهالي المحافظة واختيار المناسب منها؛ ليكون الاختيار علميًّا مبنيًّا على وسيلتي اللقاء والتدوين، في منحى توجيهيّ يتكوَّن من ثلاثة مباحث ومقدّمة، **الأوّل**: معنيّ بالحديث عن النسق الثقافيّ في الأسماء «الانفتاح والدلالة»، **والثاني**: عن تنوّع البواعث في التسميات ودلالاتها، **والثالث**: مختصّ بالتحرّي عن التمثّلات اللغويَّة في الأسماء ودلالاتها، وصولا إلى هوامش البحث والخاتمة ومصادر البحث ومراجعه.

المبحث الأول

النسق الثقافيّ في الأسماء «الانفتاح والدلالة»

تشغل ظاهرة «التسمية» حيّزًا فاعلًا في عملية التواصل الإنسانيّ، فالمحدّدات الاسميَّة للشخوص تُعدُّ بمثابة تأكيدات ذاتيَّة تعزّز من القيمة المعنويَّة للحضور الإنسانيّ، فضلا عن أنَّها أداة كشف للمهيمنات المتحكّمة في إنتاج تلك المنظومة الإبلاغيَّة في فعل التحاور.

ويمثّل الاهتمام بالموروث الثقافيّ للشعوب علامة دالَّة على الارتباط الوجوديّ بالماضي، ومن ثَمّ الانطلاق من معالمه في التطوّر والإفادة والتحليل، ولعلَّ ظاهرة الأسماء واحدة من الدلائل المهمَّة في قراءة طبيعة الواقع الاجتماعيّ، وانفتاحه أو انغلاقه على الحقول الأخرى التي تتداخل معه، فالمسافات أو الحدود في التواصل بين مجالات المعرفة في إطلاق تلك الأسماء يمثّل حالة من الوعي في تقويم الفكر السائد، ومدى استيعابه للمؤثّرات المحيطة به.

فالمساءلة الواقعة لنظام الثقافة وإنتاج تلك الأسماء يقود إلى إحراز فهم يشيّد لتلك العلاقات الاصطلاحيَّة فاعليّتها في التأسيس لذلك التنوّع من الاطلاق في التسميات. في هذا السياق يأتي هذا الطرح المعرفيّ؛ للكشف عن العلاقة اللغويَّة بأنساق الثقافة الاجتماعيَّة لتوليد عدد من الاحتمالات او الافتراضات في رصد تلك الظاهرة وعلاقاتها المختلفة. لأنَّ الأسماء بوصفها علامة لغويَّة تمثّل: «مركزا لاستقطاب فكرة ثقافيَّة، وأداة توسل داخل الخطابات»[1]، ولعلَّ ربط الأسماء بالمسمَّيات مثّل وعيًا

(١) لسانيّات الخطاب وأنساق الثقافة: ٢٢.

مبكرًا في الموروث الفكريّ العربيّ، من زاويتين، الأولى: تدلُّ على العلاقة الوشيجة التي تعكس ظلال الاسم على المسمّى، وما يحدث بينهما من علاقة تطابق أو تنافر، يقول ابن مسكويه: «فلو أنَّك نقلت اسم الفحم إلى الكافور في ما بينك وبين آخر لكان متى ذكر الفحم تصوّر السواد، ولم يمنعه ما انتقل في ما بينه وبينك إلى مسمّى آخر أيضًا طيّب الرائحة»(١)، ومن المأثور أنَّ العرب كانوا «يتفاءلون بالاسم الحسن، ويتطيّرون من ضدّه، وكانوا يقولون: إنَّ من حقّ الولد على والده أنْ يختار له أُمًّا كريمة، ويسمّيه اسمًا حسنًا، ويعلّمه القراءة والكتابة، وإنَّما تطيَّرت العرب من الغراب للغربة؛ إذ كان اسمًا مشتقًّا منها»(٢)، والثانية إطلاق الاسم على المسمّى يمثّل ضربًا من القصد والإرادة فيكونان واحدًا، يقول القاضي عبد الجبّار: «اعلم أنَّ الاسم إنَّما يصير اسمًا للمسمّى بالقصد ولولا ذلك لم يكن بأنْ يكون اسمًا له بضرب من القصد»(٣)، هذه القصديّة تشير إلى المطابقة في حمولة كلّ من الاسم والمسمّى.

وبذلك تكون هذه الأسماء شديدة العلاقة بمنتجيها؛ لأنَّها تتّصل بواقعهم وأفكارهم ومعتقداتهم، فتغدو الصورة حيويّة مواكبة لحسّهم اليوميّ مهما كانت مرجعيّة تلك الأسماء ودوافعها، فهي بمثابة التاريخ الشاهد على ولادة ذلك التنوّع الأسمائيّ. والتكثيف في نوع من الأسماء يأتي نتيجة فرض نمط جديد من المرجعيّات التي تدفع بها الظروف والأحوال المعاشة فقد تكون دينيّة أو اجتماعيّة أو سياسيّة. لها القدرة على الإيحاء في سياق التواصل والتعايش.

هذا النسق من ثقافة الأسماء له موجّهاته في الاستثمار، فتكون المقبوليّة أو التفاؤل

(١) الهوامل والشوامل: ٢٧

(٢) لغتنا الجميلة: ٢٤١

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل: ٥/ ١٦٠

بالاسم دليلا على البهجة والتكريم، ويأتي التهميش في بعض الأسماء بما لا يدلّ على معنى، أو يشير إلى شيء مستهجن مناسبة للقيمة الاجتماعيّة للمسمّى، فيُزدرى ويكون الشؤم نصيبًا له، ومن الطرائف في ذلك عن الأصمعيّ «قال: لما قَدِم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة على رجل من الأنصار، فصاح الرجل بغلاميه: يا سالم ويا يسار؟ فقال رسول صلى الله عليه وسلم: سلمت لنا الدار في يُسر»[1]، ويذكر أنَّ الخليفة عمر بن الخطّاب سأل «رجلًا أراد أن يستعين به على عمل عن اسمه واسم أبيه، فقال: ظالم بن سُراقة، فقال: تَظْلم أنت ويسرق أبوك؟ ولم يستعن به في شيء»[2].

وتنفتح الدوالّ الثقافيّة للأسماء لتشكّل هويّات تربط الحاضر بالماضي، فالاسم ذاكرة ومكان وثقافة، ينتجها الإنسان عبر وعيه وحدوده؛ لتكون تمثّلات فاعلة في ممارسات التواصل حيث الزمان والمحيط والشخوص في نسق من علاقات إقامة متبادلة، تمنحنا الصورة والمعنى والتاريخ. يقول غائب طعمة فرمان: «كلما ارتقى الكائن وتعقد صار له ماضٍ وذاكرة، اتّسعت دائرة وعيه للأشياء حتى أنَّ ذهن الانسان مخزن عجيب من عاديات الماضي، منجم لا ينضب من الذكريات»[3]، لذلك فأغلب أسمائنا الجنوبيّة نستعيد من خلالها ذاكرة التاريخ والمكان والشخوص، فتصبح حيّزًا لمتوالية حبّ وحزن يلفّ الماضي تفاصيل حكاياتها. في جغرافيّة حفرت أخاديدها حكايات عجيبة عن قصّة ولادة بعض من هذه المسمّيات.

بهذه البنية من التصوّر الثقافيّ للأسماء ودلالاتها تستبطن العلاقة بين اللغة والمجتمع في إطار من المحدّدات الكاشفة عن علاقة الإنسان بمعتقداته الدينيّة وبيئته الاجتماعيّة

(١) العقد الفريد: ١/ ١٨٦

(٢) المصدر نفسه

(٣) رواية المخاض: ٧٢

والتحوّلات السياسيّة كذلك، وصولًا إلى المهيمنات القارّة في توجيه الوعي نحو فئة من الأسماء دون غيرها. فالرؤى العفويّة أو الطبقيّة الإجرائيّة هي الهاجس في رصد تلك الأسماء وعلاقتها بالبنية التفكيريّة المحليّة. فالتسمية «تشكّل نظامًا سيميائيًّا لا يمكن دراسته بمعزل عن بعديه الاجتماعيّ والنفسيّ ولا جرم أنَّ الأسماء تحمل معطيات نفسيّة في أثناء التعامل الاجتماعيّ»[1]، هذا المعطى يحمل أنسجة من إشارات ثقافيّة صنعتها المخيّلة الفاعلة للدلالة على مقاصدها، فالتسمية بـ (طهْماز، أو جنديّة، أو عبد علي، أو دگسن، أو فهد، أو غرگان) هو فضاء حامل لسيمياء ثقافيّة تتحرّك نحو معاني تلك الأسماء وإيحاءاتها، فالإحالة إلى أحد الأسماء العثمانيّة (طهماز) والتسمية به نوع من الاجترار لتلك الثقافة التي هيمنت على العراق مدّة طويلة، ومن ثَمَّ التأثّر بعاداتها وتقاليدها وأسمائها، وفي منحى آخر يأتي الاسم الموسوم بـ (جنديّة) تدوينًا لمرحلة تاريخيّة عُرفت باسم التجنيد الالزاميّ الذي فرضته الحكومة العراقيّة آنذاك على مواطنيها، وكذا تتنوّع الدلالات من دينيّ يمثّل الاعتقاد بالأئمة أو التأثّر بأسماء الضبّاط البريطانيّين أو البيئة هاجسًا حاضرًا في إطلاق تلك الأسماء.

ولا يخفى أنَّ منظومة القيم النسقيّة لصورة المجتمع في واقع تلك المناطق هو الذي شكّل ثقافة الأسماء ودلالاتها، اذ يتجلّى في وسطهم كلّ ما كان له قبول وحظوة في تداولهم اليوميّ والمعاش، لتكون في النهاية -أي: الأسماء- خلاصة لواقع ما يحبّونه ويكرهونه، لذلك نجد إعلاءً لبعض الأسماء وغيابًا لأخرى؛ بسبب ارتباطها بالقيم التي دأبوا عليها، فبروز القيمة يبرز الاسم. من ذلك نجد في تلك المجتمعات المستوطنة في ذي قار انقيادًا للقوّة والغلبة، وإن مثّل ذلك اعتداءً على الآخرين، فتراهم يسمّون (هدّادًا وغالبًا وعدوانًا وشتّامًا وردّادًا وعنترًا وفرهودًا) ولعلّ في ذلك امتدادًا لثقافة

(١) طبيعة العلامة اللسانية وسيمياء النص الأدبي: ٦٣

اجتماعيّة عامّة تسود المجتمع العراقيّ، وشغفهم بالغزو والقتال. يقول الدكتور عليّ الورديّ: «وإذا ضاقت الحياة برجل منهم عمد إلى سيفه فذهب في الصحراء غازيًا، وهو اذا رجع بغنيمة وافرة نال مكانة رفيعة في قبيلته علاوة على نيل رزقه»[1]، إزاء ذلك لا نجد ما يدلّ من الأسماء على المهن اليدويَّة أو الحرف الصناعيَّة؛ ولعلّ سبب غياب ذلك هو «أنّ البدو يحتقرون المهن كلّ الاحتقار. فهم يحتقرون الحائك والحداد والصانع والصيقل والدبّاغ والحلّاق وكلّ من يكسب رزقه بيمينه أو عرق جبينه أنَّهم يعدّون ذلك دليلًا على الجبن والضعف، فالقويّ الشجاع في نظرهم يجب أن يكسب رزقه بحدّ سيفه وقوّة ذراعه»[2]، ولا يقصد بالبدو هنا الذين سكنوا الصحراء، بقدر ما هو تعبير عن وعي اجتماعيّ مخالف للمدنيّة والحضارة بمكتسباته وقيمه. في نهايته ينطوي على مكبوتات نسقيّة لها أثرها في تشكيل الشخصيّة وصولًا الى انفتاح تلك القيم على المناخ الاجتماعيّ.

ويتجلّى نسق مشترك في الثقافة المحلّيّة لتلك المجتمعات يقوم على رفض الآخر فتكون التسمية أنموذجًا مسبقًا لترسيخ الموقف من الآخر مهما كان جنسه او دينه ليصبح في النهاية سلوكًا ذهنيًّا، تمنحه الوقائع والحوادث صورة مألوفة في وعيهم اليوميّ. انطلاقته من الاسم ومرورًا بالقيم المختلف عليها، فمثلًا من تلك الأسماء: «مْعارچ، ومْهاوِش، وچلّاب، و شچّاي، وجسّاس، ونشّاب، وكارهن، وچسريّة، ودْعيِّر، ورْدَيْعة، ورِشّاگ»، فأغلبها يوحي بذلك السلوك يقول الدكتور عليّ الورديّ: «إنّ نزعة التغالب قد سيطرت على شخصيَّة البدويّ وجعلته ينظر في كلّ الأمور حسبما توحي إليه أنّه يودّ أن يكون ناهبًا لا منهوبًا، معتديًا لا معتدى عليه، معطيًا

(١) طبيعة المجتمع العراقي: ٦٣

(٢) المصدر نفسه: ٦٢

لا قابضًا، مقصودًا لا قاصدًا، طالبًا لا مطلوبًا، مغيثًا لا مستغيثًا، مجيرًا لا مستجيرًا، قادرًا لا مقدورًا عليه، حاميًا لا محميًّا، مسؤولًا لا سائلًا، مرجوًّا لا راجيًا، مشكورًا لا شاكرًا»[1]، هذه الصفات مثّلت أنموذجًا له حضوره في الواقع الاجتماعيّ، ومن ثَمَّ صار قيمة مركزيَّة في التفكير المألوف، فولدت الأسماء بتلك الرؤيا في نمط ثقافيّ لم يحكم له البقاء طويلًا في ظلّ التحوّلات الفكريّة والثقافيّة والاجتماعيّة.

ويمثّل (الكرم) «قيمة مركزيّة في الثقافة العربيّة، تتمحور حولها كلّ القيم الإنسانيّة الأخرى» كما يقول الغذّاميّ[2]، انعكست صفاتها في ظهور حقل من الدوالّ الأسميّة في الواقع الاجتماعيّ لتلك المناطق المتناولة، دلالة على ثبوت تلك الصفة ورسوخها في مخيالهم الأخلاقيّ والاجتماعيّ، فسمّوا بـ (مْسيِّر، وخِطّار، ووَهيِّب، وطْعَيمة، وفيَّاض، وكْريِّم، وطِبيخ، ومَريْخِب، وصِينيَّة، وذَبَّاح، وصَحَن)، فهم لا يكتفون بتلك القيمة من سلوك فيتجاوزونها لأنْ تكونَ مُسمّى لهم أيضًا.

(١) المصدر نفسه:٤٢

(٢) النقد الثقافي:١٩٠

المبحث الثاني

تنوّع البواعث في التسميات ودلالاتها

يُفصح التنوّع في التسميات عن رهان كامن في المخيَّلة المنتجة لهذا الاسم أو ذاك، بقصد مبرّر لتلك التنوّعات، وما تعكسه من ثقافة دالّة على هويّة المجتمع، وتستحضر في ذلك اللغة بوصفها المنطلق للتعبير عن دلالات ذلك التنوّع، بنظام يرسم وعي الخطاب الحاضر المتمثّل بتلك التسميات.

ولعلَّ التنوّع في تلك التسميات ترسمه فضاءاتٌ متعدّدة، منها ما هو دينيّ واجتماعيّ وسياسيّ وجغرافيّ، للإشارة الى تاريخ يرتبط بسياق إنتاجه وتنبثق فيه تلك العلامات بفعل يكشف عن المعاني والدلالات القارَّة في تلك الأسماء، فالتسمية بـ (عبد الرحمن وعبد الله ومحمّد وعبد الكريم وعبد علي وعَبد الزهرة وعيسى ويونس وإبراهيم ورقيّة وخديجة ومريم وفاطمة وزينب وكَلْثومة وحوريّة ونَعِيمة وزهْرة ونوريّة وإدريس وجار الله ونصر الله وعبد الرسول وعبد العظيم وعبد الرزاق ويعقوب وموسى وعطا الله ومال الله وحسن وحسين وهادي وعبد الكاظم وعبد ربّه وإسماعيل ويعگوب وسُليمان وعِزْرة ويوسِف ويوشع) تصدر عن دافع اعتقاديّ يسكن المخيَّلة الشعبيّة، ويربطها بالغيب، فيطلقون تلك الأسماء للتبرّك أو لطرد الخوف أو لتأكيد الالتزام بالمعالم الدينيّة وما حثَّت عليه بعضُ الروايات من أنَّ خير الأسماء ما عُبِّد وحُمِّد. فقد رُوِي عن النبي محمّدﷺ: «تسمُّوا بأسماء الأنبياء وأحبّ الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وبشير وأمين»[1].

(١) الأذكار: ٢٤٨

وقد يصدر الدافع عن هاجس اعتقاديّ يؤمن به الناس أنَّ تلك الأسماء المقترنة باللهّ أو بأحد الأنبياء أو الأئمّة يكون مانعًا لدرء المخاطر والمخاوف عن هذا المولود، فيلجؤون إلى ذلك ولاسيَّما أنَّ الواقع آنذاك له ظروفه ومتغيّراته السياسيّة والاجتماعيّة والطبيعيّة التي تدفع إلى تفادي تلك الشرور بالانصياع إلى الطاقة الروحيّة في تلك الأسماء وما تعنيه.

فالإنسان كان وما يزال يستعطف القوى الغيبيّة بشتَّى الفعّاليّات من أسماء وطقوس وفنّ لقوّة الارتباط بفكرة (الاله) والإيمان بجميع الظواهر الكونيّة التي تعود بأصولها ومرجعيّاتها إلى الآلهة[1]، هذا الاستعطاف قد ميَّز الثقافة الدينيّة بين المجتمعات، فلكلّ مجتمع طقوسه في استمالة مظاهر التديّن وكما يقول الدكتور عليّ الورديّ: «إنَّ مظاهر التديّن لا يمكن أنْ تكون متماثلة في جميع البشر فهي تتنوع حسب تنوع الثقافات الاجتماعية فيهم»[2].

ولعلّ من تلك الطقوس الدينيّة البارزة ظاهرة تسمية (عبد) المقترنة بالأئمة في محافظة ذي قار كعبد علي وعبد الحسن وعبد الحسين وعبد الهادي وعبد الكاظم، ولعلَّ الأكثر في تلك الأسماء (عبد علي) و (عبد الحسين)؛ لما يمثّله الإمامانعليهما السلام من سلطة روحيَّة في المخيّلة الشعبيّة، تعطي للمسمِّي والمسمَّى بعدًا دينيًّا في الواقع الاجتماعيّ. فعليّعليه السلام عند الناس باب نجاة وهداية كما يقول الرازيّ: «ومن اتخذ عليًا إمامًا لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه»[3]، والحسينعليه السلام اعتقادهم فيه أنَّه ثورة وعاطفة تحرّك وجدانهم في كلّ آنٍ وزمان.

(١) ينظر وظيفة الإبلاغ في الرسوم الجدارية: ٨٤

(٢) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: ٢٢٣

(٣) مفاتيح الغيب: ١ / ٢٠٥

وقد يأتي هذا الاختيار لتلك الأسماء لباعث الرغبة عند الكثيرين من المجتمعات المحلّيّة المتديّنة في إضفاء صفة التديّن على هذا المولود فيطلقون عليه ما كان مقترنًا باللهّ تارة أو الإمام تارة أخرى، أو اسم نبيّ في موضع آخر. فضلًا عن أنَّ اللجوء لتلك الأسماء وتكرارها؛ جاء نتيجة لطبيعة الأفق آنذاك تأثيرًا وتأثّرًا، فيكون الاختيار للأقرب والسائد في البيئة، فيستلهم الناس ممّا حولهم من أسماء لأولادهم. والمنزع الدينيّ بصفته الفطريّة التعبّديّة لعلَّه كان الأبرز في واقعهم المعاش على الرغم من بساطة التعبير في الطقوس والاعتقادات. وكذلك تتوالد بعض هذه الأسماء؛ نتيجة لنمط من الثقافة السائدة آنذاك في المجتمعات المحلّيّة، فيأتي المنقذ بوساطة الاسم المطلق على المولود تلبية لرؤيا أتت في النوم أو نذر ينويه صاحبه إنْ تحقّقت له أحلامه في ذرّيّة تناله بعد حين، فيسمّون محمّدًا وعليًّا وإبراهيم ويعقوب ويوسف وحسينًا وغير ذلك؛ قربانًا وامتثالًا لعطاءات الله عليهم، وهو تصوّر انتشر في مناطقنا الجنوبيّة المختلفة ومن أجله أطلقت الكثير من تلك الأسماء الدينيّة.

ولا يقف إطلاق تلك الأسماء الدينيّة في الواقع الاجتماعيّ لمحافظة ذي قار على طائفة المسلمين فحسب، بل بحكم التنوّع الدينيّ السائد فيها من يهود وصابئة ومسيحيّين، إذ يُلحظ أنَّ بعض الأسماء لتلك الديانات لها بعد دينيّ واضح في الواقع الاجتماعيّ، مثال ذلك: (سُليمان وهارون وموسى ويعقوب وبنيامين ورحمان ويوشع وداود وإلياس)، فالمعروف أنَّ تلك الأسماء لها امتدادها الدينيّ ما بين نبيّ أو اسم لله عزَّ شأنه، وهذا دليل على عمق البعد الدينيّ في التصوّرات الذهنيّة لطبيعة المجتمع المحلّيّ في تلك المحافظات ومناطقها المتنوّعة. وإذا أردنا الوقوف عند أحد تلك الأسماء -وهو ما استُعمل بكثرة في محافظة ذي قار- سيتّضح البعد الدينيّ في دلالاته، كاسم النبيّ (إلياس) أو ما يُسمّى بـ(ياس) في استعمالات العامّة، وهو قد ورد مرّتين في

التعبير القرآنيّ، قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٨٥-٨٦) وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات:١٢٣). قيل في معناه: «ربّي هو الله»[١]، أمَّا نسبه فيذهب ابن سعد إلى أنَّه ابن تشبين بن العازر بن هارون بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب[٢]، أمَّا انعكاس الطبيعة الاجتماعيّة على التسميات فله حضوره الكبير في الواقع المحلّيّ وتنوّعاته السكّانيّة المختلفة، فللبيئة تأثيرها في إطلاق كثير من الأسماء، وهذا راجع إلى تأثّر الناس بما حولهم وبما يرونه ملازمًا لهم، فاللغة كما يقول فندريس: «إنَّها نتاج الاحتكاك الاجتماعيّ»[٣]، مثال ذلك اشتهر من الأسماء لديهم ما شكّل حقولًا مختلفة، يمكن تصنيفها إلى أسماء ذات علاقة بالحيوانات أو الظواهر الكونيّة أو النباتات أو الأيّام والشهور وغير ذلك. منها (زَرْزُور، وشاهِين، وبْعَيِّر، وشِلِج، وشَبُّوط، وجِرِّي، ووَرِد، وسِرْحان، وفَهَد، ونِمِر، وسَبع، وحْنِيْش، وبَرغُوث، وشِنْبارة، وحْشَيِّش، وعَرنُوص، وبِيدَر، وحَالُوب، ورَبيع، وجُمْعة، وسَبْتي، وجْلُود، وصَيْهود، وبِستان، ومَلُّوح، وصُفَر، وتمُّوز، ورُمْضَان، وشْباط، وبْرَيِّح، وفيَّاض، وكْشَيِّش، ووادِي، وطُوفان، ومَرْدِي، وشاطِي، وفْلِيْفِل، وحْرَيجة، وذْياب، وغَرْكان)، ولعلّ في تعليل بعض من هذه الأسماء ما ذهب إليه الثعالبيّ من أنّ العرب سمَّت «أبناءها بحَجَر وكلْب ونَمِر وذِئْب وأسد وما أشبهها، وكان بعضهم إذا وُلد لأحدهم ولدٌ سمَّاه بما يراه ويسمعه ممَّا يتفاءل به، فإن رأى حجرًا أو سمعه تأوّل فيه الشدة والصلابة والصبر والنقاء، وإنْ رأى كلبًا تأوّل فيه الحراسة والأُلفة

(١) الكنز في اللغة العبرية:٤٠

(٢) ينظر الطبقات الكبرى: ١/ ٥٥

(٣) اللغة: ٣٥

وبُعد الصوت، وإنْ رأى نمرًا تأوَّل فيه المنعة والتيه والشكاسة، وإنْ رأى ذئبًا تأوّل فيه المهابة والقدرة والحشمة»[1]، وكما يقول الدكتور إبراهيم السامرائيّ: «استمرّ هذا النمط من التأسيس والتداول إلى الزمن الحاضر»[2].

وفي زاوية أخرى لم نجد من الأسماء ما يُثير الكرامة عندهم بالغلبة عليهم أو الاعتداء كأسماء المركوبات ممّا يتعلّق بالحمير والبغال والإبل، وهو ما وقف عنده الورديّ بقوله: «والظاهر أنَّ الحيوان الذي يسمح لغيره أنْ يركب عليه أو يحمل أثقالًا عليه هو في نظرهم لا بدّ أنْ يكون ذليلًا، إنَّهم يحترمون الحيوانات الأبيّة التي تعتدي على الغير ولا تسمح للغير بأنْ يعتدي عليها، كأنْ يركبها أو يضربها أو يستخدمها في منافعه الخاصّة»[3]، وإنْ وُجد بعض من هذه الأسماء كـ (بعير) فهو قليل جدًّا، ولا يُستبعد أن يكون صاحبه في موضع الانتقاص والإزداء؛ لكونه يطلق بالتصغير، فضلًا عن دلالة الاسم ومضمونه.

وما له من خصال محمودة ويثير في النفوس سجايا الفضيلة والكرم والمروءة يأتون به في أسمائهم، يترسّمون بذلك عاداتهم وتقاليدهم التي تربَّوا عليها، فقد سمُّوا: (يُودَة، ومْهَوِّس، ومْسَيِّر، ومْعَلَّة، ودِيوان، وگاصِد، وغَيثان، وهدَّاد، وطُعْمَة، ودُرَّة، وحَيهِن، وتِسْواهِن، ووفيَّة، وحِنينَة، وشَمْعة، وباشَة) كلٌّ له دلالاته ومقاصده، ملاحظًا في بعض الأسماء قصدهم إلى إبراز القوّة والشجاعة في اختيارها كـ (هدَّاد، وشتَّام، وأُبُو طكَّة، ورْمَيِّح، وفالَة، وعُون، وسَطَّام، ومْجَلي، ودفَّار، وزِلْمْة، وشدُّود، وردَّام، وشْنِيور)؛ نظرًا لطبيعة المجتمع وما يعيشه من ثقافة البداوة القائمة على الغلبة

(١) فقه اللغة وسر العربية: ٣٨٧

(٢) الأعلام العربية: ٢٨

(٣) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي:٦٦

ودفع الأعداء بشتّى السُّبل، يقول الخليل: «الشَّنار: العيب والعار. ورجل شرِّيرٌ شنِّير، إذا كان كثير الشَّرِّ والعيوب»[1]، ويبدو أنهَّم أجروا تغييرًا على اللفظ بزيادة (الواو)، فسُمِّي بـ (شنيور) والمعنى واحد، أي: كثير الشرّ.

ومن العادات الاجتماعيّة البارزة في إطلاق بعض الأسماء ما كان سائدًا من تأثّر بالتفكير الاجتماعيّ القائم على تقديس شيخ العشيرة، أو السيّد المنتمي لسلالة رسول الله، أو أحد ذرّيّته، أو الرجل (الفريضة) الذي يُهتدى إليه في حلّ النزاعات التي كانت تحدث حينذاك، فيطلقون الأسماء تقديرًا لهؤلاء لما يمتلكونه من سطوة اجتماعيّة فاعلة في الواقع اليوميّ، وكأنهَّم في هذا التصور يمنحون المنزلة الرفيعة لمن تسمى بهذا الاسم، مثال ذلك: (بُطِي، ومشَّاي، وخيُّون، ولعِيبي، وخَلاوي، وصْبَيِّح، وحْمَيدي، وشَعْلان، وعْلِيوي، وفرهُود، ومايِح، وسَچيِّت، وشِرْشاب، ومْناحِي) وغير ذلك.

ويكتسب البقاء على قيد الحياة أحيانا باللجوء إلى الغرابة في الاسم؛ دفعًا لشبح الموت عن المولود لدى بعض الناس، إنْ عاندهم القدر في إهلاك ذراريهم، فما من محيصٍ بالخلاص من ذلك الشؤم إلَّا بالأسماء الغريبة، وتلك عادة لها صداها في مناطق ذي قار وسكّانها، وهو من الحقائق التي يرويها الكثيرون من دوافع لاختيار تلك الأسماء الغريبة، فمثال تلك الأسماء (جْريِّح، مَلْغوث، مْريْهج، عَرْيان، حَتْروف، عَليِّخ، بُرْغش، لفْلُوف، شاتُول، مْطنِّش، بْصيِّص، حْتيِّت، شگاحِي، مُوتان، كرْبول، ارْهَيوِط، شْعَيوِط، كْرَيمِش، حَوذان، زْبَالة) وغيرها.

وقد تكون المناسبة – بما يرافقها من ظروف – حدثًا دالًّا على ولادة بعض الأسماء، وهو وعي يستدعي الظرف وتحوّلاته؛ ليكون تاريخًا شاهدًا مثبتًا سرّ إطلاق هذا الاسم أو ذاك، وبلا شكّ فإنَّ طبيعة الأحداث التي حلَّت بالمحافظة منذ الأربعينيّات حافلة

(١) العين: ٢/ ١٤

بالمتغيّرات السياسيّة والاجتماعيّة والبيئيّة، التي انعكست ضمنًا في بعض الأسماء الشاهدة على هذه المتغيّرات، من ذلك (مَيْجَر، بَيْرم، دِرْباش، ضُمَد، مُوزر، شرَّاد، شْنِيشل، بُطِي، مِير، ودِگْسن، وكُوكز، دْيانة، وطَن، مَطرُود، وزِير، كارُون، خَوَّاف، صْوَيِّح، جُوعان، وباهِيزة، وجُولان)، فمن هذه الأسماء ما هو مرتبط بالاحتلال البريطانيّ ووصوله إلى بعض المحافظات، ومنها (باهِيزة) وهي منطقة بين الناصريّة والشطرة سُمّيت نسبة إلى نهر باهيز الصغير، وهي منطقة قبيلة آل ازيرج في المنتفگ. حدثت عندها معركة بين الإنكليز وعشائر آل ازيرج، ومنها ما يشير الى حدث حرب في المنطقة وهي حرب الجولان. ومنها ما يعود إلى الوجود الدينيّ المتمثّل بطوائف متعدّدة كالصابئة فـ (درباش، وضمد، وبطي) هي أسماء لتلك الطائفة. وقسم آخر يرتبط بأحداث اجتماعيّة مرَّت بتلك المحافظات فأطلقت تلك التسميات كـ (خوّاف، وجوعان، وصويِّح) وغيرها. يذكر الدكتور عليّ الورديّ مسألة التجنيد الإجباريّ وقساوته على المجتمع العراقيّ وما لاقوه من ويلاته بوصفه ثقافة عثمانيّة، فالتجنيد الإجباريّ لا يزال اليوم كما كان في العهد العثمانيّ بعد تشكيل الدولة العراقيّة، فقد أسّست الحكومة نظام التجنيد الإجباريّ زمنًا طويلًا، ولن يتسنّى لأبناء الشعب أن ينسوا تلك الويلات التي قاسوها في التجنيد على أيدي جلاوزة آل عثمان[1]، هذا الأمر له علاقة واضحة ببعض الأسماء، فقد روى بعض كبار السنّ حين اللقاء بهم السرّ في تسمية جدّته أو جدّه بذلك الاسم كـ (جندي، وجبريّة)، فـ (جندي) هو محاكاة لحدث التجنيد ومواكبة لإقراره على المجتمع، وفي تسمية (جبريّة) قصّة تعود الى نظام الإجبار الذي فُرض على إخوتها كي يلتحقوا بالتجنيد الإلزاميّ، فسمّيت جبريّة تزامنًا لتلك الحكاية.

(١) ينظر الأخلاق والضائع من الموارد الخلقية: ٢٧ وما بعدها

ومن تلك المناسبات ما كان يُطلق من الأسماء محاكاة للوقت الذي يُولد فيه الشخص، فيسمون بـ(صْبيِّح ونْهيِّر وظْهيِّر وفيِر ومْصَيفي وشْتَيوي)؛ للدلالة على وقت الصبح والنهار والظهر والفجر والصيف والشتاء.

وكذلك نجد ظاهرة عندهم في أنَّهم لا يُسمُّون مطلقًا ما كان مشتركًا في التسمية بين المذكّر والمؤنّث كما هو اليوم؛ لطبيعة المجتمع وقيامه على العصبيّة والنظر إلى المرأة بمنزلة أقلّ من الرجل، فلا يختارون لها ما يختارونه للرجل.

وفي ملمح آخر تظهر السطوة الاجتماعيّة في تسمية الأنثى، إذ لا يُعار الاهتمام بها ككيان له وجوده قبل مسمّاها وقد تجلَّى ذلك في المجتمع المحلّي لمحافظة ذي قار وإلى وقت قريب بصورة الخجل والعار أحيانًا إن ذُكر اسم الأمّ او سُئل عنه، فهي كما يقول أحد الباحثين: «ظلّت ابنة فلان وزوجة فلان وأمّ فلان، أمّا كينونتها فهي ككائن مستقلّ فظلّت غائبة فهي كائن ذو تابعيّة للأب من جهة وللزوج من جهة ثانية وللابن من جهة ثالثة»[1]، ومثال ذلك ما تسمّت به (حْنَيشة، وعدَّاية، وصِينيَّة، وشْمَيتة، وجْحَيفة، وكارهِن، وفِتْنة، وحَرْبيَّة، ومْراح، وشُوفة، وهويَّة، وشِكّاية، وجِگارة، وگشَّاية، وشْنَيْنَة، وعِنْكة، وشْتيلة، وعْنَيدة) وغيرها كثير.

(١) النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب: ٧٦

المبحث الثالث

التـمثّلات اللغويّة في الأسماء ودلالاتها

يمثّل منطق اللغة نظامًا حاملًا للوجود بدوالّ تعبر عنه، والأسماء ليست وسيلة للتمييز بين الـذوات أو محـدّدًا للموجودات فقط، بل هي مقتضى أكبر، تتحرّك الموجودات كلّها بفضائه في المسعى التواصليّ الذي تقوم عليه حركة المجتمعات.

وما التعبير القرآنيّ عن ماهيَّة الأسماء في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسمَاءَ كلَّهَا ثُمّ عَرَضهُمْ عَلى الْمَلَائكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونى بِأَسمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صادِقِينَ﴾ (البقرة: ٣١) إلَّا في أحد أوجه دلالاته أنَّه دالّ: «على ذوات الأشياء التي يحتاج نوع الإنسان إلى التعبير عنها لحاجته إلى ندائها، أو استحضارها، أو إفادة حصول بعضها مع بعض، وهي -أي الإفادة- ما نسمّيه اليوم بالإخبار أو التوصيف، فيظهر أنّ المراد بالأسماء ابتداءً أسماء الذوات من الموجودات مثل الأعلام الشخصيّة وأسماء الأجناس من الحيوان والنبات والحجر والكواكب مما يقع عليه نظر الإنسان ابتداء، مثل اسم (جَنَّة، ومَلَك، وآدم، وحوَّاء، وإبليس، وشَجَرة، وثمَرة)»[1].

وقد تتجاوز البعد التواصليّ لتكون مرآة ثقافيّة حضاريّة لأيّ مجتمع من المجتمعات، الاختلاف فيها يشير إلى طبيعة المجتمعات وثقافاتها والتحوّلات التي تمرُّ بها. لذلك في تحليلها ومعرفة بواعثها طريق للربط بينها وبين الأحوال المجتمعيّة الدافعة إلى ظهورها بهذا التشكيل والتمثّل، يقول بورديو: «التسمية لاتكون حلًّا للمسمّى إنْ لم

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٢١٥

ترتبط بالظروف الاجتماعيّة التي أوحت بها»[1]، وفي النسق اللغويّ منحى من التفكير يُبرز لنا -ولو بشكل طفيف- الخصائص المشتركة في تلك الأسماء، كما يبيّن لنا المعرفة الذهنيّة في اختيار هذا النمط اللغويّ أو ذاك من دون غيره، ومدى مناسبته لطبيعة نظام اللغة وخضوعه إليها. وأوّل ما يلحظ من تلك التمثّلات اللغويّة في تلك الأسماء المنتشرة في محافظة ذي قار الميل إلى التصغير.

والتصغير هو: «تغيير صيغة الاسم لأجل تغيير المعنى، تحقيرًا، أو تقليلًا، أو تقريبًا، أو تكريمًا، أو تلطيفًا، كرجيل، ودريهمات، وقبيل، وفويق»[2]، ويُعدّ من سنن العرب، فتصغير الشيء على وجوه: فمنها تصغير تحقير، كقولهم: رُجَيل ودويْرة، ومنها تصغير تكبير، كقولهم: عُيَير وَحده، وجُحَيش وحده. وكقول الأنصاري: أنا جُذيلُها المُحكَّك، عذيقُها والمُرجَّب»[3].

من أمثلته ما ساد من الأسماء في تلك الربوع من المناطق هو: (رْوَيِّض ونْوَيصِر، وجْلَيِّب، وعْبَيد، وهْوَيدي، وصْوَيِّح، ودْرَيهم، وجْبَيِّر، وفْلَيفِل، وارْهَيَّف، ورْمَيِّح، ودْنَيِّف، وعطَيِّب، وشوَيِّخ، ومْرَيهج، وحْمَيدِي، ومْنَيخي، ورْهَيِّج، ورْبَيِّح، وسْفَيَّح، وعْرَيبي، و شْنَيِّن، وبْدَيوي، وعْوَيَّد، وفْزَيِّع، وصْويحب وبَهَيِّة، ونجَيِّة، وبْريهة، وحْنَيْشة) هذا الضرب من التصغير بعضُه قد يوافق ما جاء من صيغ التصغير الثلاث -اذا روعيت حركاتها- التي ذكرها سيبويه بقوله: «اعلم أنَّ التصغير إنّما هو في الكلام على ثلاثة أمثلة على فُعيلٍ وفُعيعلٍ وفُعيعيلٍ»[4]، وبعض منها خالف تلك

(١) استراتيجية التسمية: ١٩٢

(٢) التعريفات: ١٩

(٣) فقه اللغة وسر العربية:٩١

(٤) الكتاب: ٣/ ٤١٥

الصيغ، وهذا يشير إلى أنَّ الواقع اللغوي قد يمدّنا باستعمالات جديدة وإنْ لم تكن مطابقة لقواعد النحويّين والصرفيّين، من دون أن يكون ذلك قياسًا يُعتدّ به. أمّا مبعثه الدلاليّ فلا يعدو أنْ يكون للاختصار أوّلًا، ثمّ التحبّب والتعظيم والتكريم والترحّم والتمليح والتقليل، فمن عادتهم عدم التكلّف في سجيّتهم والنطق بما هو قريب إلى لغة تداولهم، فقولهم (عْرَيبي) أبسط على لسانهم من (عربي)، وكذلك (جْبَيِّر) أخفّ من (جبّار)، و(نجيّة) أقلّ وطأة على اللسان من (نجاة)، وللتحبّب قولهم (رْوَيِّض) أكثر وقعًا من (رياض)، وكذلك (هْويدي) بدلا من (هادي)، و(صْويحب) نيابة عن (صاحب)، و(بْرَيهَة) بدلا عن (برهة)، وللتقليل يقولون (دْريْهِم) و(فْلَيفِل)، وللتحقير يقولون(شَويخ) بدلا من (شيخ) وهلمّ جرًّا. وتبرز ظاهرة أخرى تعتور الأسماء في تلك المناطق من محافظتنا، وتمثّل حضورًا لافتًا في تنوّعها، هي (ظاهرة النقل) المرتبطة بخصائص اللغة العربيّة التي تنمو وتتطوّر وتنتقل من مجال إلى آخر في صورة من الديمومة والفاعليّة. فيحدث فيها تحوّل الأبنية والألفاظ من معانٍ إلى معانٍ أخرى[1]، فهي نتاج تحوّلات اجتماعيّة وثقافيّة وفكريّة تطرأ على المجتمع فيلجأ إليها، وهو ما نلتمسه في بعض الأسماء التي انتقلت من مجال الى آخر، كما هو الحال في الأسماء المنقولة من مجال الحيوانات، إذ وجدنا أسماء (ذِيب، وسَبع، وجرو، ووَبْران، وسِرحان، وبْعيِّر، وبَطَّة، وعْنّيزة، وكْبيشة، وغَزالة، وعِفريت، ونِمِر، وفْهيِّد، وفَارة، وبنِّيَّة، وشبُّوط، وشِلِج، وجْعيّل، وبرْغوث، وبَرغَش، ويَرَّاد، وريْمة، وصْخيل).

وقسم منقول من ظواهر الطبيعة، فسمّوا بـ (مْطَير، وسَحاب، وكَواكِب، ورْعيِّد، وحَالُوب، ونَجِم، وصَيهود، وطُوفَان).

وتارة يكون النقل عن اسم مدينة كما هو شائع في بعض الأسماء الجنوبيّة مثل:

(١) ينظر الكلمة دراسة لغوية معجمية: ٧٤

«تُركي، وتُركيَّة، ورُومِي، وهِنديَّة، وبصريَّة، وبَديوي نسبة إلى البادية»، ونجد من تلك الأسماء ما يُنسب إلى قُراهم مثل (عَسَّاف) نسبة إلى منطقة آل عسّاف، و(جْهيِّل) نسبة إلى آل جهل، و(شْحَيم) نسبة إلى منطقة شحم، و(صْليِّل) نسبة إلى منطقة الصلولات، و(ركيِّب) نسبة إلى الركابي وهكذا.

أمّا الأعـداد فالتسميات المنسوبة إليها قليلة، المشهور منها في محافظة ذي قار ونواحيها: (ثْوَيني، ووْحَيِّد، وخَمَّاس، وخْمَيِّس، وثْلَيثَة، وستَّة) نسبة إلى الأعداد اثنين وواحد وخمسة وثلاثة وستّة.

ويُلحظ نمط الإضافة إلى الله سبحانه أو أحد اسمائه أو إلى الائمة، أي: الأسماء المركبة في أسمائهم المختارة؛ للدلالة على شعورهم الدينيّ أو انتمائهم في الولاء، مع غياب لأسماء الخلفاء أو ما سُمّي به الملوك أو الخلفاء في العصرين الأمويّ والعباسيّ، وهو مغزى دالّ على تأثّرهم بالواقع الاجتماعيّ أكثر من الدينيّ، فلا تأتي تلك الأسماء الدينيّة إلَّا نزرًا. من تلك الأسماء: (عبد الله، ومالَ الله، وعطا الله، وخير الله، ويارَ الله، وعبد الباري، وعَبد القادر، وعبد النبي، وعبد علي، وعبد الحسن، وعَبد الحسين، وعَبد الرسول، وعبد الهادي، وعبد الكاظم، وعبد ربَّه، وعَبد السادة)، يقول الدكتور إبراهيم السامرائيّ عن هذه التراكيب: «إنَّ (عبدالله) من الأعلام التي يسمِّي بها المسلمون في العراق الآن عربًا كانوا أم غير عرب، وهو كذلك من الأعلام الشائعة بين اليهود والنصارى والصابئة وسائر الطوائف الأخرى... ولكنْ إضافة العبد لم تقتصر على لفظة الجلالة أو على أسماء الله وإنَّما تعدَّت ذلك إلى أسماء الأئمة والأولياء الصالحين أو إلى ألقابهم وما اشتهروا به، نحو عبد الأمير وعَبد علي وعبد الحسن وعبدالحسين وعبد العبّاس وعبد الحمزة وعبد الكاظم وعبد الرضا وعبد الصاحب

وعبد الزهرة وعبد الأئمة»[١].

وتتميّز بعض الأسماء المؤنّثة بلاحقة التاء الدالّة على التأنيث في مجموعة من الأسماء، ما يبعث على التساؤل الدلاليّ في اللجوء إلى هذا الملمح، وهو ما يمكن أنْ يكون ظاهرة أي: «أنْ يكون الاسم المؤنّث فيه علامة فاصلة بينه وبين المذكّر كقولك خديجة وفاطمة»[٢]، كتسميتهم بـ (زَعْبولة، وشَاهيَّة، وحْوَيتة، وشِلْتاغة، وتَقيَّة، وصبريَّة، وعَمشة، وقِنديلة، وقِرداشة، ونجيَّة، وعسْلة، ووضحة، وبَلعُوطة، وفَنَديَّة، وشْنينَة، وبَتِّيَّة، ومِزْنة، وجَبريَّة، وبِلويَّة، وشَدْهة، ومْطَيرة، وعْنيَّدة، وجَسُّومة، و جْمَالة، وبَدِيلة، ومْسيّرة، وفْلَيْحة، ومْلَيحَة، وفْضَيْلة، وضَويَّة)، ولعلّ الأقرب إلى الجواب في انتقاء تلك الأسماء هو لتمييزها عن المذكّر حسب إدراكهم وثقافتهم. يقول هنري فليش: «لواحق المؤنّث تجرُّنا إلى تصوّر حالة من حالات اللغة الضاربة في القدم حيث كانت هذه اللواحق تصدق على طبقات ثمّ التقت في طبقة يمكن تمييزها وهي طبقة الأقل قيمة أو الأدنى»[٣]، وهو مغزى لا يمكن استبعاده أيضًا في تلك النظرة الدونيّة إلى المرأة، فجعلهم يُطلقون عليها تلك التسمية بوساطة اللاحقة. وعادة ما تلحق تلك العلامة الصفات، «فالتاء المربوطة تلحق الصفات تفرقة بين المذكّر منها، والمؤنّث كبائع وبائعة، وعالم وعالمة، ومحمود ومحمودة، ولحاقها غير الصفات سَماعيٌ كتمرة وغلامة وحمارة»[٤]، وإن كان لا يُعدم وجود أسماء أخرى بلا علامة التأنيث، وهي من المؤنّث الحقيقيّ كتسميتهم (باشَا، وكَارهِن، وسَحَاب، وحُورِي، وبَدْهَن،

(١) الأعلام العربية دراسة لغوية اجتماعية: ٧، ٨

(٢) المذكر والمؤنث:ابن الانباري: ٩٣

(٣) العربية الفصحى: ٧٥

(٤) جامع الدروس العربية: ١/ ١٨

وفْطيِّم، وكَويْغد، وبَنُّور، وفْهيِّم، ورَضْوى، وعَگل، وبَرْنو) لكنَّها قليلة.

وتارة تأتي بعض الأسماء بلا معنى، فهي من وحي خيالهم لا تدلُّ على شيء، وقد تنبّه إلى ذلك الدكتور إبراهيم السامرائيّ بقوله: «والذي نعرفه أنَّ سكَّان القرى في جنوب العراق غير متحضّرين وأنَّهم متأخّرون إذا ماقيسوا بسكّان المدن أو بسكّان القرى الواقعة في الوسط والشمال.. فأنت تحسُّ أنَّهم يتشبثون بأتفه الألفاظ ليتخذوها أعلامًا لهم كأنْ تجد في أسمائهم (گِشّاية) وتعني العود الدقيق من القِش أو تجدهم يسمّون (خْريبط ومْطشَّر) وما أشبه ذلك، وربّما اتخذوا من ألفاظ لا تدلُّ على معنى معروف أعلامًا لهم»[1]، ولعلَّ في هذا الحُكم إجحافًا لأنَّ فيه إطلاقًا ووصفًا لشريحة واسعة من المجتمع العراقيّ بعدم التحضّر، والتحضّر لا يقاس بالأسماء فقط، علمًا أنَّ هناك أسماء كثيرة في جنوب العراق تشي بالتحضر، ولم يذكرها مثل (علّام) من العِلم، و(صْوينع) من الصناعة، و(نْحيِّت) من نحَّات، و(رْويّد) من رائد، و(خبَّاز) و(نيَّار)، أيْ: نجّار، و(افْخيِّر) من الفخر والفخار، و(بْسَيْمة) من الابتسام، و(نْويرة) من النور، و(جميلة) من الجمال، و(فْرَيحة) من الفرح وغير ذلك، فضلًا عن ذلك لم يذكر لنا الدكتور السامرائيّ ما أشيع من أسماء الأعلام في الوسط والشمال حتَّى تبدو المقارنة منطقيّة بين تلك البيئات، ثمَّ الحكم عليها.

ولعلَّ من جملة تلك الألفاظ ما لا وجود لأصلٍ له في العربيّة نحو تسميتهم بـ (كمْبوت، موشنَّة، نارسيَّة، خِيشة).

ومما وجدنا من العامّيّ الذي أصله فصيح مجموعة من الأسماء، التي تعود إلى معانٍ متنوّعة كـ(حَوذان) وفيه دلالتان: «الحَوْذُ: السَوْقُ السريعُ. تقول: حُذْتُ الإِبِلَ

(١) الاعلام العربية دراسة لغوية اجتماعية: ١٥

أَحوذُها حَوْذًا؛ وأَحْوَذْتُها مثلُه. والأَحْوَذيُّ: الخفيفُ في الشيء لِحِذْقِهِ»[1]، ويرجّح الباحث المعنى الأول، أي: السَوق السريع للإبل؛ لقرابة واقعهم الاجتماعيّ والبيئيّ من ذلك. وتسميتهم بـ(شيَّال وشويَّل) يرى ابن منظور أنَّ الشائل «هي الناقة التي شالَ لبنُها، أَي: ارْتَفع، وتسمّى الشَّوْلَ، أَي: ذات شَـوْلٍ؛ لأَنه لم يَبق في ضَرْعِها إِلا شَوْلٌ من لبن، أَي: بَقِيّة، وفي حديث عليّ (كرَّم الله وجهه) فكأَنكم بالساعة تحْدُوكم حَدْوَ الزاجر بشَوْله، أَي: الذي يَزْجُر إِبله لتَسير، وقيل: الشَّوْلُ من الإِبل التي نقَصتْ أَلبانها»[2]، ومن أسمائهم للمؤنث (شَدْهة، وبَتِّيَّة ودنيفة) وهي تعود الى أصول فصيحة، يقول ابن سيده: «شَـدَهَ رأسه شَدْهًا: شدخه.. وشُدِهَ الرجل شَدْهًا وشُدْهًا: شغل، وقيل: تحيّر، والاسم الشُّداهُ»[3]، و(بَتِّيَّة) من البتّ: «والبَتَّةُ اشتِقاقُها من القَطع، غير أَنَّه مستعمل في كلّ أمرٍ لا رجعةَ فيه ولا التِواء»[4]، ومن الدارج نقول (البتة) يعني القطع في الامر. و(دنيفة) من الدنَف وتعني: «المرضُ الملازمُ. ورجلٌ دَنَفٌ أيضًا وامرأةٌ دَنَفٌ وقومٌ دَنَفٌ، يستوي فيه المذكّر والمؤنّث، والتثنية والجمع. فإن قلت: رجلٌ دَنِفٌ، بكسر النون قلت: امرأةٌ دَنِفَةٌ، أَنَّثْتَ وثَنَّيْتَ وجمعتَ. وقد دَنِفَ المريضُ بالكسر، أي ثقُل»[5]، ولاشكّ في أنَّ تسميتهم (ارْهيوط) يعود إلى معنى الرهط، يقول الجوهري: «رَهْـطُ الرجلِ: قومُه وقبيلتُه. يقال: هم رَهْطٌ دِنْيَةٌ. والرَهْطُ: ما دون العَشرة من الرجال، لا تكون فيهم امرأة. قال الله تعالى:

(١) الصحاح: ١/ ١٥٣

(٢) لسان العرب: ١١/ ٣٧٤

(٣) المحكم والمحيط الأعظم: ٢/ ١٥٢

(٤) العين: ٢/ ١٣٤

(٥) الصحاح: ١/ ٢١٤

﴿وكانَ فى المَدينَةِ تسعةُ رَهْطٍ﴾ (النمل: ٤٨) فجمع، وليس لهم واحد من لفظهم مثل ذَوْدٍ. والجمع أَرْهُطٌ وأَرْهاطٌ وأَراهِطٌ، كأنّه جَمْعُ أَرْهُطٍ، وأَراهيطُ»[١]، وما يدلّ على الاستبعاد تسميتهم بـ (نفاوة) وهو الطرد والإبعاد من محلّ الإقامة، يقول الزمخشريّ: «نفيته من المكان: نحيّته عنه فانتفى. ونفي فلانٌ من البلد: أخرج وسيّر ((أو ينفوا من الأرض))»[٢]، ولعلّ تلك التسمية فيها بعدٌ اجتماعيّ، كان ملازمًا لعاداتهم وتقاليدهم في نفي من يقتل أحدًا منهم الى مكان آخر غير سكناه وقبيلته عقوبة وردعًا وتأديبًا لمن يمارس هذا السلوك.

(١) الصحاح: ١/ ٢٧٣

(٢) أساس البلاغة: ١/ ٤٨٥

الخاتمة

١. تُمثّل ظاهرة التسمية فضاءً تواصليًّا دالًّا على محدّدات الهويّة الذاتيّة والثقافيّة للشعوب في إطار من المعطيات التي تفرضها الطبيعة الاجتماعيّة والبيئة لمجتمع دون آخر.

٢. تؤرّخ الأسماء لولادة سياق من الوعي الاجتماعيّ المتلاحق في حركة الزمن، فالتكثيف في نوع من الأسماء يأتي نتيجة فرض نمط جديد من المرجعيّات التي تدفع بها الظروف والأحوال المعاشة فقد تكون دينيّة او اجتماعيّة او سياسيّة. لها القدرة على الإيحاء في سياق التواصل والتعايش.

٣. أفصح البحث عن امتداد تلك الظاهرة في العقل الإنسانيّ ووعيه بها، فتأتي تلك الأسماء استجابة لمثير أو دافع يفرض هذا الاسم أو ذاك وصولًا ألى حالة من المقبوليّة أو التأييد الاجتماعيّ في ظلّ التأسيس الدينيّ او الاجتماعيّ الساند لها.

٤. بروز القيم الاجتماعيّة في محافظة ذي قار عند معاينة ظاهرة التسمية، وامتداد أصولها إلى نسق ضارب في الطبيعة القبليّة الاجتماعيّة آنذاك عند اللجوء الى تسمية ما يدلّ على الإثارة وتخويف الآخر، أو التسمية بما يدلّ على الفروسيّة والشجاعة والكرم والمروءة وغيرها من القيم المتجذّرة في العقل العراقيّ.

٥. أفرز البحث تنوعًا في تلك التسميات سببه الفضاءات المتعدّدة، فمنها ما هو دينيّ واجتماعيّ وسياسيّ وجغرافيّ، فأتت الأسماء مرتبطة بتلك الأنساق دالّة على كلّ بعد من تلك الأبعاد في صياغة اسمية ذات إيحاء بتلك الفضاءات.

٦. تمثّل النظام اللغويّ ومظاهره في تلك الأسماء بأبعاد دالّة على بروز تلك الأشكال اللغويّة دون غيرها في رصيد التسمية كالتصغير والإضافة والنقل ولاحقة التاء والأصل الفصيح وغيرها.

٧. لم يبتعد المنحى الدلاليّ لظاهرة التصغير في الأسماء عن إشارات اللغويّين إلى دلالاته كالاختصار والتحبّب والتعظيم والتكريم والترحّم والتلميح والتقليل والتحقير، مع ترجيح دلالة الاختصار مناسبة للوعي الفكريّ وعدم التكلّف بإطلاق الاسم كما هو قارّ في أصله، دون إغفال دلالة (تقليل الشأن) في الاستعمال لتلك الأسماء المصغّرة بفعل الطبيعة الاجتماعيّة القائمة على التشفّي والتغالب.

٨. أشار البحث إلى جملة من التحوّلات الفكريّة والاجتماعيّة والثقافيّة في ظاهرة التسمية، إذ تحوّلت أو انتقلت الكثير من الأسماء من مجال إلى آخر بفعل التأثّر بالواقع ورهاناته المختلفة، وتلك الصورة تبرز طبيعة الاحتكاك والتماسّ المباشر مع المتغيّرات البيئيّة والاجتماعيّة السائدة.

٩. بروز ظاهرة (لاحقة التاء) في الأسماء المؤنّثة بشكل لافت؛ للدلالة على التفكير الذي عن طريقه يكون الإدراك عندهم عامل التمييز عن المذكّر، وتلك صورة ضاربة في العمق كما يثبتها هنري فليش بأنّها إشارة الى الطبقة الأقلّ.

١٠. تجلّي ظاهرة غياب المعنى عن كثير من الأسماء، فهي غير دالّة على شيء، وما من إثبات يشير إلى معانيها في السياق الاستعماليّ للغة، إلّا بتعليل يذهب إلى عادات اجتماعيّة كانت تسود واقعهم في تلك الظاهرة، أي اللجوء الى الاسم الغريب وغير دالّ؛ دفعًا لمخاوف أو بلاءات قد تأتي على المولود.

١١. أثبت البحث أصالة بعض الأسماء فصاحة، وإنْ كان هناك تغيير في بنيتها بعض الشيء إلَّا أنَّ معناها له أصوله واستعمالاته في الاستعمال اللغويّ المدون في معالجات اللغويّين قديمًا. وهو منحى يقود إلى يقينيّة الامتداد إلى تلك الأصالة، وإن كانت هناك فواعل اجتماعيّة لها تأثيرها في نزوع أمر ما.

قائمة المصادر

١. الأخلاق و الضائع من الموارد الخلقية: علي الوردي، بيروت، ١٩٥٨م.

٢. الأذكار من كلام سيد الأبرار: أبو زكريا محيي الدين النووي، بيروت مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٦، ٢٠٠٠م.

٣. أساس البلاغة: جار الله الزمخشري،الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتابة، القاهرة، ط٣، ١٩٨٥م.

٤. استراتيجية التسمية في نظام الأبنية المعرفية: مطاع صفدي دار الشؤون الثقافية العامة، العراق- بغداد، ط٢، ١٩٨٦م.

٥. الأعلام العربية دراسة لغوية اجتماعية- بحث في أسماء الناس: إبراهيم السامرائي، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٠م.

٦. التحرير والتنوير: ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٧. التعريفات: الشريف الجرجاني، دار احياء التراث العربي بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٨. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ٢٠٠١م.

٩. جامع الدروس العربية: مصطفى محمد الغلاييني، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، صيد- لبنان، ط١٢، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

١٠. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: علي الوردي، مطبعة ثامن الحجج.

١١. رواية المخاض: غائب طعمة فرمان، منشورات مكتبة التحرير، بغداد، ١٩٧٤م.

١٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم، بيروت- لبنان.

١٣. الطبقات الكبرى: ابن سعد، تحقيق علي أحمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١.

١٤. طبيعة العلامة اللسانية وسيمياء النص الأدبي: إخلاص محمد عيدان وصلاح كاظم هادي، دار أفكار للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ٢٠١٤م.

١٥. العربية الفصحى- دراسة في البناء اللغوي: هنري فليش، تعريب وتحقيق وتقديم عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.

١٦. العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق أحمد أمين وآخرين، القاهرة، ١٩٤٨م.

١٧. العين: الخليل، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨١م.

١٨. فقه اللغة وسر العربية: أبو منصور الثعالبي، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٣.

١٩. الكتاب: سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط٢.

٢٠. الكلمة- دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط٢، ١٩٩٨م.

٢١. الكنز في اللغة العبرية: محمد بدر، المطبعة التجارية الكبرى، مصر.

٢٢. لسان العرب: ابن منظور، بيروت، ١٣٧٤هـ.

٢٣. لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة: عبد الفتاح أحمد يوسف، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٠م.

٢٤. اللغة: ج. فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١ ١٩٥٠م.

٢٥. لغتنا الجميلة: فاروق شوشة، دار العودة، بيروت، ١٩٦٧م.

٢٦. المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٢٧. المذكر والمؤنث: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٥، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٨. المغني في أبواب التوحيد والعدل: أبو الحسن عبد الجبار المعتزلي، إشراف طه حسين، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٠م.

٢٩. النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب: إبراهيم الحيدري، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٣م.

٣٠. النقد الثقافي- قراءة في الأنساق الثقافية العربية: عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٥م.

٣١. الهوامل والشوامل- سؤالات أبي حيان التوحيدي لأبي علي مسكويه: أبو حيان التوحيدي وابن مسكويه، القاهرة، ١٩٥١م.

٣٢. وظيفة الإبلاغ في الرسوم الجدارية العراقية والمصرية القديمة- دراسة تحليلية مقارنة: إيلاف سعد علي البصري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٨م.